وفي خضم حزننا العميق غادر أخي إيرنست، وتمنينا له حظًّا سعيدًا في عمله الدبلوماسي. كم كان غريبًا أن الحياة تكرر نفسها؛ فمنذ سنوات قليلة فحسب غادرت منزلنا بعدما فقدنا أمي، وها هو إيرنست يرحل الآن بعد فقدان شخص آخر من العائلة مباشرة.

وفي يوم من الأيام جلست أنا وإليزابيث نتحدث وأخبرتني أنها منزعجة لما آلت إليه الأمور. قالت لي: «إن المصير الذي حلّ بالمسكينة جاستين يجعلني أرى العالم مكانًا سيئًا. كانت الأمور السيئة تحدث قبلًا في الكتب فحسب، والآن حياتنا مليئة بالحزن. لقد كانت جاستين بريئة، لكنها سُجنت. هل هذا عدل؟»

آه يا حبيبتي إليزابيث! لقد كان يسوءني بشدة أن أراها بهذا الانزعاج، وكنت أنا السبب في كل هذه المشكلات، ليس لأنني من تسبب فيها بالفعل، ولكن لأنني من صنع المسخ. اصفر وجهي، ولاحظت إليزابيث شحوب وجهي.

أمسكت بيدي وقالت: «أنا آسفة يا حبيبي. لم أقصد أن أزعجك.» ثم ضغطت على يدي بقوة وقالت: «سيكون كل شيء على ما يرام. ربما ليس اليوم، لكن قريبًا. أعدك بهذا.»

ابتسمت لها برقة، لكنني لم أشعر بأي تحسن، إذ كنت أدرك في عقلي أن الأمر لن ينتهي قريبًا.

قلت لها: «معذرة يا إليزابيث، أريد أن أكون بمفردي الآن.» ثم نهضت من الأريكة واتجهت إلى غرفتي. لقد أردت أن أخبرها الحقيقة، وأشرح لها أن كل ما حدث هو خطأ مني، لكنني لم أستطع أن أجبر نفسي على فعل ذلك.

وبعد ساعات قررت أن السبيل الوحيد إلى راحتي هو القيام بنزهة طويلة عبر جبال الألب. ربما لو قمت برحلة أخرى كتلك التي قمت بها أنا وهنري أستطيع أن أتغلب على تألمي لما حل لويليام وجاستين المسكينين.

الفصل العاشر

رحلة طويلة على الأقدام

في الصباح التالي، وفي اللحظة التي بدأت فيها الشمس تشرق، تسللت خارجًا من الباب الأمامي مراعيًا ألا أوقظ أحدًا. انطلقت بخطى ثابتة نحو منحدرات جبال الألب، على أمل أن يصفي هواء الجبل المنعش البارد ذهني. وبعد مرور وقت قليل اتجهت صوب الطريق المؤدي إلى مدينة شامونكس؛ وهي مدينة صغيرة مقامة في وادٍ جميل.

بدت الطرق ممهدة تحت حذائي طويل الرقبة، وكان الجو معتدلًا ومشرقًا. وخفت الهموم التي أحملها كلما ابتعدت أكثر نحو الجبال، التي كانت شاهقة الارتفاع على جانبيّ! وبدا كأنما يعلو قمة كل منها أهرامات عملاقة من الجليد، وكانت المنحدرات الشديدة خلابة للغاية حتى إنني لم أملّ أبدًا من النظر إليها، مهما طال الوقت الذي سرت فيه على هذا الدرب. ثمة شيء سحري في بلادي. وقد أحببت السير عبر جبال الألب.

استغرقت يومًا حتى أصل إلى مدينة شامونكس، وكان بها نزل رائع وجدت به غرفة لأقضي فيها ليلتي. وفي اللحظة التي وضعت فيها رأسي على الوسادة رحت في سبات عميق.

استيقظت في الصباح التالي وانطلقت مرة أخرى. تجولت عبر وادي شامونكس وأصوات الطبيعة تصدح من حولي. هفت الريح وسط الأشجار، وأزبد النبع، والمياه تنحدر على الجبل. لقد أفادتني الرحلة، لكنني ما زلت مضطربًا، لذا قررت أن أمكث يومًا آخر قبل أن أعود أدراجي.

هطلت الأمطار في اليوم التالي، لكنني لم أشأ أن أقضي اليوم بالداخل. وما الذي ستفعله العاصفة لي؟ لقد مررت بما هو أسوأ منها بكثير. استعرت بغلًا من النُّزل حتى أستطيع أن أصل إلى قمة جبل مونتينفيرس. كانت الأنهار الجليدية عند القمة رائعة

للغاية. لقد كنت بحاجة إلى أن أراها بالفعل هذا اليوم، إذ كنت موقنًا من أن المنظر وحده سيجعلني أشعر بتحسن.

وكان الدرب المؤدي إلى أعلى الجبل وعرًا، لكنه لم يكن مستحيل السير فيه. اصطفت أشجار الصنوبر على جانبي الطريق، وكان الدرب يتلوى وينعطف فيما نشق أنا والبغل طريقنا لأعلى. كان الوادي تحتنا بمسافة بعيدة، وكانت هناك أكواخ للتدفئة، ورأيت النيران المضطرمة، والناس بداخل الأكواخ يقضون أيامهم كعادتهم في سعادة.

قلت في نفسي: «هذه هي أمارات الحياة الرائعة، هل يمكن أن أكون يومًا ما سعيدًا هكذا؟»

لقد وقعت الكثير من الأحداث في حياتي، وتوالت على ذهني أفكار بشأن الأحداث التي وقعت طيلة السنوات القليلة الماضية وأنا أرتقي الجبل: موت أمي، والأوقات التي قضيتها في الجامعة، وتجربتي البشعة، ورؤية المسخ، وويليام المسكين، وجاستين البريئة؛ فأدركت أن الأمور لن تعود أبدًا لسابق عهدها، ولن أعود أبدًا ذلك الصبي الذي كان ينظر إلى صاعقة البرق في تعجب.

هطلت الأمطار من السماء، لكنني واصلت المسير. وفي الوقت الذي بلغت فيه قمة مونتينفيرس كان قد حل وقت الظهيرة تقريبًا. تركت البغل ليستريح إلى جانب الطريق ثم انطلقت. سرت ساعتين أخريين ثم جلست على إحدى الصخور المطلة على نهر الجليد. وبعدما استرحت هناك لبعض الوقت، ظننت أن لديّ طاقة كافية تمكنني من عبور النهر الجليدي، لكنني استغرقت ساعتين للوصول إلى الجانب الآخر، ولكن ممارسة المشي نفعتني بشدة.

تلفت حولي وتفرست في الجبال، فرأيت بهاء مونتينفيرس يرتفع في الفضاء الفسيح ووراءه مباشرة الجبل الأبيض العظيم مونت بلانك. صرخت في السماء: «أرجوك اجعلني أكُن سعيدًا! أرجوك دعني أنسَ كل هذا. لا يمكنني أن أستمر على هذا المنوال! لا يمكنني حقًّا.»

وما إن نطقت بهذه الكلمات حتى رأيت رجلًا يركض بسرعة عبر نهر الجليد. قفز فوق مناطق كنت قد استغرقت بعض الوقت للمرور بها خشية أن أقع. وعندما نظرت إليه عن كثب تبين أنه أطول بكثير جدًّا من الإنسان الطبيعي.

فكرت في نفسي: «لا، مستحيل!» وشعرت بالدوار وكدت أسقط لولا أن هواء الجليد البارد أعاد لي توازني: لقد كان المسخ! وقد جاء يركض باتجاهي. واعترتني رجفة من الخوف والغضب معًا.

صرخت: «أيها المسخ! كيف تجرؤ أن تقترب مني بعد الذي اقترفته! ألست خائفًا مني؟ ألا ترى غضبي؟»

أجابني صائحًا: «أعرف أنك تكرهني. حيثما ذهبت كرهني الجميع. أنا بائس، لكنك أنت الذي صنعتني وأنت الوحيد الذي تجمعني به صلة.»

اقترب مني أكثر واسترسل: «أريدك أن تفعل شيئًا من أجلي. إذا وافقت سأتركك وشأنك، وإذا لم توافق سأجعل حياتك جحيمًا.»

صرخت: «كيف تجرؤ على تهديدي! كيف تجرؤ على تهديدي!» وركضت نحو البقعة التي يقف فيها رافعًا قبضتي يديّ. تنحى المسخ جانبًا بكل خفة فسقطت على الجليد. ونهضت من مكاني ونفضت الجليد عن بنطالي.

قال المسخ: «لا تتصرف بحماقة. طيلة العامين الماضيين رأيت السعادة تملأ الأرجاء من حولي، لكنني لم أذق طعم هذه السعادة. رأيت الناس يُحِبُّون ويُحَبُّون، لكن ما من أحد أحبني قط. تعلمت الكلام والقراءة والتفكير بوضوح، ومع كل هذا لا زال الناس يرفضونني. أنت صنعتني يا فرانكنشتاين، والآن لا بد أن تبارك حياتي كما بُوركت حياتك بالناس الذين يحبونك.»

صحت بأعلى صوتي: «ارحل! نحن عدوان أيها المسخ. لا يهم أنني صنعتك.»

نكس المسخ رأسه دقيقة ثم قال: «كيف أجعلك تنصت لي؟ كيف أجعلك تفهم؟ يا فرانكنشتاين، أنا وحيد تمامًا في هذا العالم. إذا كان صانعي يمقتني ويحتقرني، فكيف أتوقع خلاف ذلك من أي شخص آخر؟»

وتهدج صوته وهو يتابع حديثه: «إن منزلي الآن هو الجليد البارد في هذه الجبال. إنني أحيا حياة قاسية، وأنت وحدك الذي تملك القدرة على مساعدتي. أرجوك، اسمع قصتي فحسب، وعندما تسمعها كلها يمكنك أن تصدر حكمك عليّ.»

وضعت يديّ فوق أذنيّ وهززت رأسي وصحت: «كلا، كلا! لا أريد الاستماع إليك. أنت أحلت حياتي إلى جحيم. ارحل فحسب، ولا تتحدث إليّ ثانية.»

قال بإصرار: «ليس قبل أن تنصت إلى قصتي. ليس قبل أن تعرف ماذا أريد أن أطلب منك وماذا أريدك أن تفعل. أرجوك يا فرانكنشتاين، الجو قارس البرودة هنا، وهذا الجو ليس جيدًا من أجلك؛ فقد تمرض. تعال معي إلى كوخي.»

وبينما كنت أفكر لحظة في هذا الاقتراح أضاف: «لا تزال حياتي في يدك. وأنت وحدك الذي يمكنك أن تقرر هل أرحل إلى الأبد ولا أؤذي أبدًا أولئك الذين تحبهم مرة أخرى أم لا.»

واستدار المسخ ثم سار عائدًا عبر النهر الجليدي. وتبعته عبر الجليد في بطء. لقد كرهته، لكنني أدين له بهذا؛ سأنصت إلى قصته.

الفصل الحادي عشر

قصة المسخ

سرنا أنا والمسخ في هدوء نحو كوخه، الذي بدا مبنى بدائيًّا. دخلنا وجلسنا إلى جوار نار مشتعلة، فجعلت ألسنة اللهب وجه المسخ الشاحب يتوهج بضوء غريب. وبدأ المسخ قصته من بداية حياته؛ من تلك اللحظة المصيرية المشئومة التي تركته فيها.

قال: «من الصعب عليّ أن أتذكر الأيام الأولى من حياتي؛ فجميعها تبدو كتلة ضبابية واحدة هائلة. كنت أرى وأشعر وأسمع وأشم في وقت واحد، وكانت كل حواسي مشوشة تمامًا.»

قاطعته لأسأله: «هل كانت كل حواسك تعمل في نفس الوقت؟ قطعًا كان هذا مشوشًا.»

– «كان هذا في البداية، لكنني تعلمت بعدئذ أن أميز بينها. وكان الضوء يتعب عينيّ، فكنت أضطر أن أغمضهما وقتًا طويلًا. وبعد أن غادرت شقتك شققت طريقي نحو الغابة بالقرب من إنجولشتات. استلقيت بجانب نبع مياه ورحت في النوم. وبعد ساعات استيقظت على ألم في معدتي واحتقان في زوري. واكتشفت أنني أستطيع أن أشرب مياه النبع وكانت رائعة. وعندئذ أكلت بعضًا من ثمر التوت والجذور التي وجدتها في الغابة. معدتي ليست كمعدتك يا فرانكنشتاين، فمعدتي تستطيع أن تهضم الأطعمة الخشنة.»

قام المسخ بعيدًا عن النيران لمّا ارتفعت درجة حرارة الغرفة. ولم أكن أعرف فيما أفكر أو حتى ماذا أقول؛ لذا أنصت إليه فحسب.

– «عندما استيقظت كان الظلام يغشى الأرض وكان الجو باردًا. لم تكن الملابس التي ارتديتها دافئة بما يتناسب مع حالة الجو. كنت تعيسًا للغاية، وكانت ذراعاي

وساقاي تؤلمني، وكثير من الأفكار تدور في رأسي — ولم أفهم أي فكرة منها — لذا جلست وبكيت إذ لم أكن أعرف ماذا أفعل غير ذلك.

أضاء القمر السماء، وشعرت بتحسن. ونهضت ووجدت عباءة قديمة كان قد ألقاها أحدهم تحت إحدى الأشجار. وفي الوقت الذي كانت جميع حواسي تعمل فيه معًا كان الشيء الوحيد الذي يجعلني أشعر بتحسن هو رؤية القمر الذي كان يهدئني.»

سألته: «كم من الوقت أمضيت في الغابة؟»

– «أيامًا كثيرة؛ لم يكن لي مكان آخر أذهب إليه. مكثت هناك إلى أن استطعت أن أهدئ حواسي وأميز بعضها من بعض.»

وتنحنح المسخ قبل أن يردف: «وفي يوم من الأيام، لمّا كان الجو قارس البرودة، سرت لمسافة طويلة. كانت مجموعة من المسافرين قد تركت نيرانًا مشتعلة، وعندما جلست إلى جانب النيران ذُهلت من الشعور بالحرارة، فوضعت يدي في وسطها مباشرة! وكم أدهشني الألم الذي شعرت به!»

رفع يديه لأرى آثار الحرق، ثم قال: «تفحصت النيران عن كثب ووجدت أنها مكونة من الخشب، لذا نهضت وجمعت المزيد من الخشب حتى تستمر في الاشتعال. في تلك الليلة نمت هناك وشعرت بالدفء للمرة الأولى في حياتي. كان هذا اكتشافًا رائعًا.»

هطلت الأمطار بغزارة على الكوخ الصغير، إذ كنت أسمع صوت هطولها الشديد على السقف.

وتابع المسخ: «أمضيت الكثير من الوقت في الغابة، وكنت أقتات على التوت والمكسرات والجذور، بل تعلمت أن أسويها على النيران فكان مذاقها أحلى. ولكن بعدما تغير الجو من الخريف إلى الشتاء ندر الطعام، فأدركت أنني لا بد أن أترك الغابة.

وصلت إلى كوخ صغير بدا دافئًا وجافًّا، وأردت حقًّا أن أدخله، إذ كان الجليد يغطي الأرض والجو قارس البرودة. كان الباب مفتوحًا لذا دخلت ورأيت رجلًا كبيرًا جالسًا بجوار النيران يعد إفطاره. وحين دخلت التفت الرجل ثم صرخ بصوت عالٍ، حتى إن صوته آلم أذنيّ. وثب الرجل ثم ركض فرارًا مني، تمامًا مثلما فعلت أنت بعدما تنفست أول أنفاسي.»

كنت أشعر بالمسخ ينظر إليّ، لكنني لم أرفع عينيّ. وتابع المسخ: «أعترف بأنني أكلت إفطار الرجل. كان رائعًا، وشبعت للغاية حتى إنني رُحت مباشرة في سبات عميق على الأرض هناك.

أدركت أنني لا أستطيع المكوث هناك بعدما رأيت ردة فعل الرجل نحوي. وللمرة الأولى في حياتي سرت صوب المدينة في النهار. صُدم الناس وأصابهم الذعر، وراحوا يصرخون ويهربون عند رؤيتي، بل ضربني البعض بالهراوات ورموني بالحجارة لأنهم كانوا خائفين، فما كان مني إلا أن هربت واختبأت.

أي حياة تلك يا فرانكنشتاين؟» أجبت بهز رأسي لكنني لم أنبس ببنت شفة.

وتابع المسخ: «ركضت مبتعدًا عن ذلك المكان بأقصى سرعة. ركضت طوال طريق خروجي من المدينة. ركضت إلى أن وصلت كوخًا قديمًا مقامًا بجانب بيت صغير. كنت أدرك حينها أنني لا يجب أن أدخل إلى البيت لكي لا يرتعد مني الناس بالداخل ويحاولوا أن يؤذوني. زحفت إلى داخل الكوخ واختبأت هناك. لم يكن الكوخ رائعًا، لكنه كان آمنًا.

وكان هناك ثقب صغير في جدار الكوخ، ووجدت أنني أستطيع أن أشاهد الأسرة التي تعيش في البيت الصغير. رأيت فتاة صغيرة — سرعان ما عرفت بعد ذلك أن اسمها أجاثا — تحمل دلوًا مملوءًا بشيء ما إلى المنزل. التقاها أخوها عند باب البيت وأخذ الدلو منها كي لا تحمله أكثر من ذلك. وفي المرة التالية رأيت أخاها، الذي عرفت أن اسمه فيليكس، يحمل آلة ما ويسير نحو الغابة، ثم عاد محملًا بالحطب اللازم لإشعال النيران.

أحببت هذه الأسرة الصغيرة. لقد بدوا حزانى، لكنهم كانوا مجدين في العمل. كان والدهما ضريرًا، وعادة ما كان يجلس بجانب النيران يعزف على ناي خشبي، وكانت الموسيقى رائعة.

تعلمت الكثير منهم، وقضيت ساعات وساعات أشاهدهم. تعلمت الكلام من الإنصات إليهم، وتعلمت القراءة من خلال سماعهم وهم يروون القصص بعضهم لبعض. شاهدت الفتى والفتاة وهما يحسنان معاملة أبيهما، وشعرت أنه هكذا ينبغي أن تكون الأسرة، وتمنيت هذا لنفسي.

لقد كانوا فقراء للغاية لكنهم سعداء.

بدأت أساعدهم قدر استطاعتي، فامتنعت عن تناول طعامهم وعدت أتناول جذور النباتات والتوت. وفي الليل كنت آخذ أدوات فيليكس من الورشة كي أقطع كومات وكومات من الحطب من أجلهم. وكانوا دائمًا ما يندهشون لدى رؤية كومة جديدة من الحطب على عتبة بابهم كل صباح!

عاشوا حياة بسيطة هادئة. كانوا فقراء، لكنهم بدوا راضين. وتُقْتُ أن أتحدث إلى الرجل الطيب كي أناقش معه كتب فيليكس، وأقضي الوقت في مساعدة أجاثا في الحديقة.

لم أبتغ شيئًا أكثر من أن أصير جزءًا من عائلتهم. أعلم أنك لم تردني أن أصير جزءًا من عائلتك، إذ نبذتني بعدما أعطيتني الحياة بلحظات. لكن إذا استطعت أن أجد مكانًا آخر لأنتمي إليه فسيعوضني هذا عن الألم الذي شعرت به بعدما تركتني.

وفي يوم من الأيام — وأنا في الغابة أقتات لنفسي طعامًا — انحنيت لأشرب الماء فرأيت صورتي على صفحة الماء. يا إلهي! لقد كنت مسخًا؛ مسخًا مرعبًا قبيحًا. تمنيت أن تنظر الأسرة إلى قلبي يومًا ما وترى حقيقتي، ولا تنظر إلى وجهي المخيف فحسب.

انقضى عام تقريبًا، ورأيت أنه حان الوقت الآن كي أجري محاولة وأقابل هذه الأسرة التي أردت باستماتة أن أنضم إليها. وفي صباح أحد الأيام رأيت أجاثا وفيليكس يتركان والدهما وحده كي يتمشيا في الغابة. أمسك الرجل بقيثارته وعزف لبعض الوقت. يا لها من موسيقى عذبة! لقد ألهمتني. زحفت من مخبئي وسرت نحو الباب الأمامي وقرعته.

وسمعت الرجل يدعوني للدخول.

سأل الرجل: «من أنت؟»

أخبرته أنني مسافر وسألته أن أستدفئ بجانب النيران. جلسنا وتسامرنا وقتًا طويلًا، وأخبرته كيف وصلت إلى هنا، وكيف كنت أعيش في الغابة، وكيف كنت مسخًا ينفر منه الجميع. حقق الرجل كل أحلامي عندما قال لي إنني أملك قلبًا طيبًا نقيًّا على ما يبدو. كانت تلك لحظة الحقيقة.»

اغرورقت عينا المسخ بالدموع، وهو يتابع حديثه: «أردت من أعماق فؤادي أن أخبره بالقصة بأكملها. وفعلت هذا، وأخبرته أنه أنا من كان يقطع لهم الحطب، ومن كان يساعدهم على مدار الأشهر القليلة الماضية. ذُهل الرجل الكبير، ولكن قبل أن يتمكن من قول أي شيء كانت أسرته قد رجعت إلى البيت.

صُدم فيليكس وأجاثا لدى رؤيتي وعلى الفور توقعا الأسوأ. صرخ الاثنان في رعب وجذبني الصبي بعيدًا عن والده وألقى بي خارج المنزل، وغُشي على أجاثا. أعرف أنه كان بمقدوري أن أؤذي فيليكس لأنني أضخم منه بكثير، لكنني لم أستطع أن أحمل نفسي على أذيته.

ركضت من هناك بأقصى سرعتي، وانكسر قلبي.

عرفت حينها أنني لن أستطيع أبدًا أن أكون جزءًا من أي عائلة، وأدركت أنه لن يقبلني أي شخص في العالم بسبب شكلي القبيح. لا يهم أنني أستطيع القراءة أو الكتابة،

ولا يهم أنني أستطيع التفكير أو التحدث عن الفلسفة أو موضوعات عظيمة أخرى؛ سيظل الناس يخشونني دائمًا. وفي تلك اللحظة امتلأ قلبي كرهًا لك يا فرانكنشتاين لأنك جئت بي إلى عالم لن يقبلني أبدًا.»

الفصل الثاني عشر

طلب المسخ

«قضيت بقية الليل مختبئًا في الغابة. وفي الصباح التالي عدت لأرى هل الأسرة الصغيرة بخير. وعندما وصلت إلى هناك سمعت شخصًا يقول إنهم رحلوا خوفًا على حياتهم. مجرد رؤيتي لحظات معدودات جعلتهم يظنون أنني سوف ألحق بهم الضرر. لقد تخلوا عن كل ما يملكونه ليهربوا مني. تخيل الشعور الذي خالجني حينها يا فرانكنشتاين.

ما كنت لأؤذيهم قط. لقد أحببتهم كما لو كانوا أسرتي.

وأدركت أنني لا بد أن أعثر عليك، فأنت وحدك الذي أتيت بي إلى هذا العالم، وأنت وحدك تستطيع أن تمنحني حياة كريمة.

طال ترحالي، واستغرقت شهورًا عديدة لأصل إلى جنيف.» ثم نظر المسخ من نافذة الكوخ الصغيرة إلى الأمطار المتساقطة بالخارج وتابع: «لم أستطع أن أمنع نفسي عن التفكير في السبب الذي جعلك تصنعني إذا كان العالم كله سيكرهني.

عشت في الغابة خارج جنيف. نفس الغابة التي أعرف أنك رأيتني فيها في تلك الليلة المطيرة. وفي صباح أحد الأيام رأيت ويليام. بدا لي صبيًّا لطيفًا، وظننت أنه ربما يمكن أن يتجاهل شخص صغير مظهري الكريه. راقبته هو وأخاه وقتًا طويلًا وسمعتهما يتحدثان عنك، وظننت للحظة عابرة أنني عثرت على فرد من أفراد أسرتي، فهذه هي الأسرة التي أتيت بي إليها وعليهم أن يقبلوني.

راقبت ويليام وهو يختبئ من إيرنست، وقد ظل مختبئًا إلى أن توقف أخوه عن البحث عنه ورحل. وعندها خرجت من الأجمة. وعندما رآني ويليام صرخ. جذبته حتى لا يتمكن من الهرب، لكنه لم يتوقف عن الصراخ، لذا وضعت يدي على فمه حتى يهدأ، وسرعان ما سقط جسده الواهن بين ذراعيّ وعرفت أنني قتلته. رأيت القلادة حول

رقبته فأخذتها، وتركت ويليام هناك وهربت. وجدت الفتاة في مخزن الحبوب هذه الليلة ووضعت القلادة في جيبها.

أعلم أن هذا كان خطأً مشينًا، لكنني لم أستطع أن أمنع نفسي. لقد أردت أن أؤذيك يا فرانكنشتاين لأنك أنت الذي أعطيتني هذه الحياة الموحشة البشعة.»

وأخيرًا، وبعد ساعات من السرد، أخبرني المسخ بما يريد: «لا أستطيع أن أقضي المزيد من الوقت وحيدًا. لا بد أن تصنع كائنًا آخر. لا بد أن تصنع صديقًا لي، أو زوجة؛ إنسانةً مثلي تمامًا. أنت الوحيد الذي يستطيع أن يفعل هذا.»

وبعدما أنهى المسخ قصته جلس في هدوء. ومر وقت طويل وهو ينتظر إجابتي، وأخيرًا أجبته: «كلا. يؤسفني هذا، ولكن الإجابة لا. لن أصنع أبدًا مسخًا آخر مثلك.»

لمعت عينا المسخ لحظة. وجلسنا صامتين. حاول أن يقنعني بأنها فكرة جيدة فقال: «الجميع يكرهونني. أعدك أنني سأرحل إلى الأبد إذا فعلت هذا الشيء الوحيد من أجلي. أما إذا رفضت فسأستمر في إيذاء الأشخاص الذين تحبهم. أنت مدين لي يا فرانكنشتاين، ألا ترى هذا؟ كل ما حدث خطؤك أنت، وأنت الوحيد الذي يمكنه أن يصححه؟»

سألته: «هل تعدني بحق أن ترحل إلى الأبد إذا صنعت لك صديقًا؟ وهل تعد بأن تترك أسرتي وشأنها؟»

قال: «أريدك أن تصنع لي زوجة. إنسانة أقضي أيامي معها. إنسانة مثلي. إذا فعلت هذا أعدك أن أرحل إلى الأبد. وأعدك أنه لن يلحق بأسرتك ضرر آخر.»

أجبته في هدوء: «إذن سأفعل. لكن لا بد أن تعرف أنني لا أريد هذا ... لكنني سأفعل كي أحمي أسرتي.»

قال: «أشكرك يا فرانكنشتاين، وسألتزم بوعدي لك.»

نظر إليّ في حذر وقال: «لكن اعلم أنني سأراقبك، كي أتأكد من أنك تلتزم بوعدك لي.»

ثم نهض من مكانه في عجالة وركض من الكوخ تاركًا إياي وراءه. واستغرقت ساعات عديدة كيما أعثر على طريقي للعودة إلى البغل الذي كان جائعًا للغاية حينما عثرت عليه. نزلنا الجبل سريعًا، وقضيت الليلة في النُّزل، واستيقظت مبكرًا في الصباح التالي بعد ليلة من النوم غير المريح.

كانت رحلة العودة الطويلة إلى بيليريف شاقة للغاية. وصلت المنزل في اليوم التالي. ولمّا سرت مسافة طويلة للغاية دون راحة بدا منظري وحشيًّا؛ إذ انتصب شعري

وتغضنت ملابسي. في بادئ الأمر صُدمت أسرتي لدى رؤيتي بهذا المظهر، لكنهم ابتهجوا بعدئذ لعودتي إلى المنزل. ومع أنهم أرادوا أن يعرفوا كل شيء بشأن رحلتي، فلم أستطع أن أخبرهم أي شيء مما حدث طيلة الأيام القليلة الماضية، فلدي الكثير لأفكر فيه، لذا استأذنتهم وأويت إلى الفراش.

الفصل الثالث عشر

رحلة إلى إنجلترا

مرت الأيام والأسابيع دون أن أستطيع البدء في العمل. وكنت أعلم أن هذا سيصيب المسخ بالجنون. كنت قد قرأت عن عالم في إنجلترا يدرس الجسد الأنثوي، وكنت أعرف أن دراسته سوف تساعدني في صنع زوجة المسخ. وأدركت أيضًا أنها ربما تكون فرصة جيدة للابتعاد بعض الوقت، وقد أعلل الأمر لوالدي بأنني في حاجة إلى التعلم من هذا المعلم، وقد يمنحني هذا الوقت الكافي كي أصنع هذه المسخ الجديدة بعيدًا عن أسرتي، إذ لم أشأ أن يروني في هذه الفترة.

وأملت أيضًا أن هذا قد يبعد المسخ عن إليزابيث وأبي، فلا أريده أن يؤذي أكثر أشخاص أحببتهم في حياتي.

وفي صبيحة أحد الأيام، وفيما كنا نتناول الإفطار، قلت: «أبي، أود أن أذهب إلى إنجلترا. أشعر بتحسن شديد في الآونة الأخيرة، وأرى أن هذه الرحلة ستكون نافعة لي. أريد أن ألتقي عالمًا هناك يمكن أن يساعدني في مشروع سأبدؤه.»

ابتسم أبي لي ابتسامة دافئة، وقد بدا سعيدًا وفخورًا في تلك اللحظة.

قال أبي: «حسنًا يا فيكتور. أراها فكرة رائعة، لكن لا بد أن تعدني بشيء أولًا. أنت تعلم كم كانت أمك ترغب في أن تتزوج من إليزابيث، لذا سآذن لك بالسفر إلى إنجلترا شريطة أن توافق على إتمام زواجك لدى عودتك من هناك.»

لقد أحببت إليزابيث من كل قلبي ونفسي، لكنني كنت خائفًا. لقد قتل المسخ أخي بالفعل، فماذا لو ألحق الضرر بها هي أيضًا؟ لن أسامح نفسي أبدًا إذا وقع لها أي مكروه. ابتغيت أن أتزوج إليزابيث، لكن لا بد أن أحل مشكلاتي أولًا. لم أستطع أن أخبر أبي بشأن المسخ، لذا رددت: «بالطبع، إنها فكرة رائعة.»

كان أبي سعيدًا أيما سعادة! وتحدثنا لبعض الوقت عن رحلتي، ولم يشأ أبي أن أذهب إلى إنجلترا بمفردي، لذا أرسل خطابًا إلى هنري يطلب منه أن يرافقني إلى هناك. حددنا كل شيء، وكانت إليزابيث سعيدة بمعرفتها أننا سنتزوج عن قريب، وسُر أبي بأن أسرته ستستقر عن قريب، وسافرت إلى إنجلترا.

التقيت أنا وهنري في ستراسبورج، وسافرنا في أنحاء أوروبا ورأينا العديد من المناظر الرائعة. وكان الريف الذي يفصل ما بين مسقط رأسي وإنجلترا مليئًا بالقلاع والكنائس، والمروج والغابات. لكن حتى ظُرف هنري والمناظر الخلابة لم تجعلني سعيدًا؛ إذ كنت مضطرًّا أن أبدأ عملي المشين من جديد، ولم يستطع أي شيء أن يجعلني أشعر بتحسن.

استغرقنا شهرًا كاملًا للوصول إلى لندن؛ إذ سافرنا بالعربة، وسيرًا على الأقدام، وبالقارب، لكننا وصلنا أخيرًا!

الفصل الرابع عشر

ثم إلى اسكتلندا

حالما وصلنا المدينة رجع هنري سريعًا إلى دراسته، وقد التقى بمعلمي لغة مختلفين وبدأ من حيث انتهى في إنجولشتات. لقد عدنا إلى الدراسة معًا، تمامًا كما كنا في ألمانيا. حاولت جاهدًا أن أخفي مشاعري؛ إذ لم أشأ أن يرى مدى تعاستي من جرّاء دراسة العلوم من جديد.

وأعادت رؤية المعمل إلى ذاكرتي — على الفور — الوقت الذي كنت أصنع فيه المسخ الأول. كيف أقوم بكل هذا من جديد؟ وكان التفكير في أحداث الأسابيع القليلة الماضية يجعلني يقظًا ليلة تلو الأخرى. ما هذا الذي اقترفته؟ ما هذا الذي وعدت به؟

تقدم هنري في دراسته، وقد أحب أن يدرس قدر استطاعته الأماكن البعيدة مثل الصين والهند. كان يرغب في أن يعمل في مجال الأنشطة التجارية ومن ثم يتسنى له زيارة الأماكن التي كان يدرسها.

كانت صحبته الجميلة تخفف عني عبء العمل الحزين. لم أكن أسعد رجل في العالم، لكن على الأقل

كان لي صديق وفيٌّ طيب، ففي نهاية الأمر كان هنري سعيدًا للغاية لوجودنا معًا، وقد التقى الكثير من الأشخاص الجدد وكوّن الكثير من الصداقات الجديدة. وعادة ما كان يقضي الوقت بالخارج مع هذا أو ذاك، وكان دائمًا يطلب مني أن أرافقه، لكنني لم أفعل قط، فقد كان طلب المسخ يلازمني كظلي طوال الوقت.

التقيت الأستاذ الجامعي بانتظام وتعلمت من أبحاثه قدرًا لا بأس به. لقد قدم لي الكثير من المعلومات بشأن جسد المرأة وكيف يختلف اختلافًا علميًّا عن جسد الرجل. كان معلمًا طيبًا وحكيمًا، وعلمني كل شيء كنت في حاجة إلى أن أعرفه كي أصنع زوجة

المسخ. ومع ذلك انزعجت انزعاجًا لا حد له لمعرفتي أن كل شيء تعلمته كان من أجل ذلك المشروع المرعب.

كرست كل وقتي من أجل تجميع الأدوات التي قد أحتاجها للعمل في الكائن الثاني، فأنا مضطر أن أصنع زوجة المسخ. أزعجتني فكرة صنع مسخ آخر غاية الإزعاج، لكنني قطعت وعدًا ولا يمكن أن أتراجع عنه. أنشأت معملًا صغيرًا، وكان لا بد أن أكون حريصًا كل الحرص على ألا أدع هنري أو أي شخص آخر يرى ما أفعله. وفيما أوشكت على بدء العمل تلقى هنري خطابًا من اسكتلندا يدعونا فيه أحد أصدقائه المقربين لزيارته.

لم أرد أن أذهب لأن ذلك يعني تأجيل العمل مرة أخرى، لكن هنري أصر، لذا أضررت أن آخذ معدات معملي معي، حريصًا على أن أطمث أي آثار لمشروعي الأخير، فصار معي صناديق كثيرة حتى إننا اضطررنا إلى تأجير عربة ثانية! ولم يمانع هنري، فقد كان متحمسًا لرؤية اسكتلندا أكثر مما كان لزيارة إنجلترا.

انتقلنا عبر مقاطعات رائعة الجمال ومدن صغيرة ساحرة. مر زهاء العام منذ أن التقيت المسخ عند نهر الجليد بمونتينفيرس، ولم أحقق أي تقدم، لكنني لم أره قط أو أسمع عنه أي أخبار، لذا حاولت أن أنساه وأستمتع برحلتنا.

بعد أسابيع قلائل، وصلنا منطقة المرتفعات الاسكتلندية، وبعدما أمضينا شهرًا في ضيافة أسرة صديقه ابتغى هنري أن يرى المزيد من معالم اسكتلندا. وكنت أعلم أنني لا بد أن أبدأ عملي، فإذا لم أقم به الآن فلن أمتلك الشجاعة الكافية أبدًا لكي أصنع المسخ الثاني. ولاحظ هنري أن مزاجي قد تحسن قليلًا منذ أن غادرت إنجلترا، ولم يشأ أن يذهب في رحلته بمفرده فطلب مني أن أرافقه.

قلت له إنني سأكون على ما يرام إذا مكثت بمفردي بعض الوقت. وأخيرًا وافق هنري، وقرر أن يرحل في الصباح التالي. أخبرته أنني سأكون بخير، وسأذهب إلى جزر أوركني أثناء رحلته لمشاهدة المزيد من معالم اسكتلندا. وكانت الجزر مكانًا مناسبًا لعملي إذ كادت تكون غير مأهولة بالسكان، ومن ثم لن يزعجني أحد إلى أن أنتهي من عملي، وأنا لا أبتغي أن يرى أحد ما كنت أفعله، والأهم من كل هذا أنني لم أشأ أن يرى أي أحد المسخ إذا جاء باحثًا عني.

في الصباح التالي استعد كلانا للرحيل، وكان هنري لا يزال يساوره القلق من أن أمضي الكثير من الوقت بمفردي في مثل ذلك المكان المنعزل.

قلت: «هنري، أرجوك لا تقلق! سأكون بخير بمفردي، أنت في حاجة إلى أن تذهب وتستمتع بالوقت. وأنا أحتاج أن أنتهي من مشروعي قبل أن أرجع إلى إليزابيث.»

رد: «فيكتور، لا يروق لي هذا، لكنني سأرحل بمفردي إذا قطعت لي وعدًا بأن تقابلني في إدنبرة بعد شهر.»

مزيد من الوعود! لا أعرف هل سأنتهي من مشروعي في خلال شهر، لكن على الأقل هناك ما يدعو الآن لقطع هذا الوعد!

أجبته: «أجل، هذه فكرة رائعة يا هنري. سأراك بعد شهر بالضبط.»

وبعدئذ تصافحنا، وابتسم هنري ولوح لي وهو يبتعد في عربته. استغرقت وقتًا أطول كي أحزم كل أمتعتي. وأخيرًا أصبحت أنا أيضًا مستعدًّا للرحيل، واتجهت إلى جزر أوركني.

استأجرت بيتًا صغيرًا في حالة مزرية للغاية في قرية صغيرة بالقرب من كيركوول؛ ثلاث غرف إحداها تصلح لأن تكون معملًا. وعلى الرغم من أنه كان لديّ كل شيء أحتاجه لأستهل عملي، فقد اضطررت أن أرغم نفسي على بدء العمل؛ فقد كان عملًا كريهًا لي، وكنت أشعر باكتئاب شديد أثناء ذلك. عرفت أن ثمة شيئًا سيئًا وشيك الحدوث، غير أنني لم أعرف ماذا ولا متى.